

كيف تستخدم الأفعال في الكتابة الصحافية

الأفعال في اللغة العربية توقفني، تدخلني في حالة تأمل، فهي على كثرتها يقل استخدامها ولا سيما في الصحافة -بإستبدالها بصيغة المصدر- ما يولّد لديّ نوعاً من الغيرة عليها وعلى الزخم الذي يمكنها بثّه في النص.

فالصحافة أساساً تدور حول الأفعال. وقوة الأفعال في أنها مرتبطة بزمن له بداية ونهاية، وبها حركة من النقطة «أ» إلى النقطة «ب»؛ ما يضيفي الأكشن (أو التشويق إذا أردت) إلى السرد في النص. استبدال الأفعال بالمصدر ينزع عن السرد دسمه. فالمصدر صيغة اسمية تدل على الحدث؛ أي الحدث، وقد نزع عنه زمنه. فالأسماء والصفات في اللغة «مثل زيد، وأزرق» تشير إلى الثبات والديمومة. وأيضاً المصدر مثل «قتال»، فهو صيغة اسمية تدل على «حدث» ليس له زمن أو بداية ونهاية.

وحق عند استخدام الأفعال، كثيراً ما يلجأ الصحافي إلى أفعال القول (قال، أضاف، أعلن، نقل، أكد.. إلخ) التي لا تدل على أكشن.

لنحاول إضفاء الأكشن على خبر نُشر أمس، وأخذته على نحو عشوائي. انتبه إلى استخدام صيغة المصدر ونزع الأكشن من الخبر الأصلي: مقتل، إصابة، متواصلة..

الأصل:

أعلنت وزارة الصحة في فرغيزيا مقتل ثلاثة أشخاص وإصابة عشرات آخرين في الاشتباكات المسلحة المتواصلة بين القوات القرغيزية ونظيرتها الطاجيكية في منطقة باتكين الحدودية شمال البلاد.

التعديل:

قُتل ثلاثة أشخاص وأصيب العشرات في اشتباكات مسلحة تجري بين القوات القرغيزية ونظيرتها الطاجيكية في منطقة باتكين الحدودية شمال البلاد.

انظر إلى الإيقاع الذي تخلقه الأفعال في هذا النص عن رواية «شارع السردين المقلب» لجون شتاينبيك:

..لم يكن في حاجة إلى ساعة. لقد أُلِفَ المدّ والجُرّ إلى درجة صار معها يحسّ بارتفاع الماء أو انحساره وهو نائم. واستيقظ مع الضحى، وتطلّع من خلال زجاج السيارة فإذا به يجد الماء آخذاً في الانحسار عن الصعيد الحافل بالحجارة. فاحتسى شيئاً من القهوة الساخنة، والتهم ثلاثة ساندويتشات، وأتبعها بزجاجة من البيرة. ويتواصل انحسار الماء على نحوٍ لا يُدرك، ويتكشف الصعيد عن حجارته التي تبدو وكأنها ترتفع فيما ينخفض

المحيط مخلّفاً بركاً صغيرة وأعشاباً نديّة وطحالب وإسفنجاً، فُرْحية الألوان وسمراء وزرقاء وحمراء. وفي الأعماق تستقرّ نفايات البحر العجيبة: أصداف محطمة ومتشققة، وبقايا هياكل عظمية، ومخالب. ذلك بأن قاع البحر كلّه مقبرة غريبة يدب فوقها الأحياء ويُعدون.

فبوضع الفاعل المستتر أحياناً والأفعال في بداية الجُمْل، يتدفق الوضوح والطاقة السردية في المقطعين، كما يقول Peter Roy Clark في كتابه Writing Tools. بعض الجمل تضع الفكرة الأساسية (وهي عادة الفاعل والفعل الرئيسيين) في بداية الجملة، والبعض الآخر بالقرب من النهاية. الفرق مهم. الجمل التي توضح نقطة ما في وقت مبكر تبدو أكثر طبيعية وفطرية في المحادثة الشفوية. انتبه لحديثك عندما تتكلم كيف تضع الفاعل والفعل في بداية الجملة. عند قراءة هذا النوع من الجمل، من المرجح أن يركز القارئ على المحتوى، وبدرجة أقل على الكاتب.

لكن قصة الأفعال لا تنتهي هنا. إذ كثيراً ما أقف عند تلك القوة التي تبثها الجملة عندما يرد الفعل الرئيسي في نهايتها. فعندما يريد الكاتب أن يخلق الإثارة، ويزيد التوتر، ويجعل القارئ ينتظر ويترقّب، أو أن ينضم إلى رحلة استكشاف، أو أن يتشبث بأذيال الحياة الغالية، يمكنه أن يؤخّر فاعل وفعل العبارة الرئيسية في الجملة إلى النهاية.

أليست «الحياة» ذاتها جملة طويلة تنتهي بالموت. وعند ذلك بالتحديد وقبل وضع النقطة في نهاية الجملة بأن يوارى الجثمان الثرى، تخرج أجمل العبارات بأن «اذكروا محاسن موتاكم».

إن التلاعب بالجملة بوضع الفاعل والفعل الرئيسيين في منطقة قريبة من نهايتها، يضيفي التأنق على الكتابة؛ نوعٌ من ادّخار «نَفْحَة البوق» في وجه القارئ إلى نهاية الجملة. انظر إلى سورة التكويد التي تستخدم الجملة الشرطية بوضع الفعل في نهاية الجملة:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ... وَإِذَا الْجِبَةُ أُرْلِفَتْ، عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَخْصَرَتْ... وَمَا تَسْأُوُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رُبُّ الْعَالَمِينَ﴾

وهي سورة مكية نزلت رداً على «أبي جهل» عندما كان الرسول (ص) لا يزال يجاهد لإثبات دعوته، وتركيز على عظمة الخالق (وهو الكاتب أيضاً إذا نظرنا للقرآن كنص أدبي).

انظر إلى هذه الجملة من النعي الذي نشرته «نيويورك تايمز» أمس، وتحدث عن هبة تمتعت بها فاليري سيريلو باناش التي توفيت بـ Covid-19، في رعاية الأطفال المتشاكسين:

كان بإمكانها أن تجمع 20 طفلاً صغيراً معاً، تصحبهم إلى حديقة الحيوان، تأخذهم إلى السباحة، تطعمهم على الغداء، ثم تؤويهم إلى الفراش للقبولة دون أن تنزّ قطرة عرق واحدة.

الإنسان البدائي بكلمة الأسد (وهو هنا الفاعل) يدرك المخاطر المحدقة، ولا يهم إن كان يمشي أم لا، لذلك جاءت المعلومة المهمة في بداية الجملة.

لكن، إذا كان وضع الفاعل في بداية الجملة والفعل في نهايتها كان الأصل في لغة البشر، لأن الفاعل كان المعلومة الأهم بالنسبة لهم، فلماذا تغير هذا الترتيب في عدد كبير من اللغات فيما بعد؟ على الأرجح لأن سرد القصص - بما يتطلبه من وضوح وسلاسة - عند نقطة ما بدأ يلعب دوراً أساسياً في التاريخ. فحاجات الإنسان البدائي ومتطلباته بدأت تأخذ أشكالاً أكثر تعقيداً، ولم يعد نقل المعلومة (كحال التقارير الخيرية) وحده كافياً لتحديد المخاطر التي تهدد البقاء، فالتعاون والاستفادة من تجارب الآخرين لخلق «المعنى» وتحقيق الأهداف وحل المشاكل المستجدة، تطلب «سرد القصص». وثمة كتاب شيق عن السرد القصصي بعنوان «On the Origin of Stories» لـ Brian Boyd يدخل مساحة ممتعة حول الأصول الجينية لسرد القصص عند الإنسان.

هذا النوع من الجمل يضع «اللحم» - وهو هنا «دون أن تنزّ قطرة عرق واحدة» - قرب نقطة النهاية؛ صحيح أنه لقمة يصعب هضمها، لكنها تستحق أن تلوّكها بين أسنانك. فهي تثير تلك الغريزة البدائية عند البشر؛ تلك الذكرى الضاربة في القدم عندما كنا جميعاً نضع الفعل في نهاية الجملة في اللغة الأولى للبشرية.

وثمة نقاش جميل حول ترتيب كلمات الجملة «الفعل - الفاعل - المفعول به» واختلاف ذلك باختلاف اللغات ودلالات ذلك. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الترتيب الأصلي للغة البشر كان «الفاعل - المفعول به - الفعل». ويبدو ذلك منطقياً إذا نظرنا إلى أن اللغة أصلاً كانت أداة تواصل لدرة الأخطار، فأيهما أسرع في إيصال الفكرة: «أسدٌ يمشي في الغابة» و«أسدٌ في الغابة يمشي»؟ بالطبع الجملة الأخيرة، فبمجرد سماع

عن هذه النسخة

هذه نسخة PDF من مقالة نُشرت في موقع «المحرر». النص والصور كما هي في المقالة الأصلية.

«الأفعال.. تلك القوة المهدورة صحافياً» — مقًا تعلّمت · بقلم رشاد عبد القادر · ٣٠ نيسان ٢٠٢١
almuharir.net · تاريخ السحب ٦ تشرين الأول ٢٠٢٦